شرح كتاب التوحيد

للشيخ: محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-



المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

ولهما في حديث عِتبان (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

الشرح:

الحمد لله رب العالمين اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

أهل التوحيد حرمهم الله على النار، وتحريمهم على النار؛ منهم من حرم الله على النار فلا يدخله ابتداءً ولا يسمعَ حسيسها؛ وهؤلاء أهل الإيمان الكامل والذين حققوا التوحيد فهو تحريم مطلقًا لا يدخلونها، ونوع منهم أهل التوحيد وهم أهل كبائر وماتوا بدون توبة؛ فهؤلاء تحت المشيئة ولكن حرمهم الله على النار؛ أي: من الخلود فيها؛ بل إن دخلوها فمآلهم الجنة؛ لأنهم من أهل التوحيد.

المتن:

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى: يارب علمني شيئًا أذْكرك وأدعوك به؛ قال: ((قل يا موسى لا إله إلا الله))؛ قال: يارب كل عبادك يقولون هذا؛ قال: ((يا موسى لو أن السموات

السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كِفة ولا إله إلا اللــه في كِفة؛ مالت بهن لا إلــه إلا اللــه)) رواه ابـن حبـان والحـاكم وصححه.

الشرح:

هذا الحديث فيه بيـان فضـل "لا إلـه إلا اللـه" وأنهـا لا يثقـلُ معها شيء ولا يبقى معها شيئًا من الذنوب؛ إلا غفره الله تبارك وتعالى بِـ "لا إله إلا الله"، ولا يكفي أن يقولها الإنسـان بلسـانه، ولا يترتب عليها هذا الثواب إذا كانت مجرد قول باللسان؛ ولكن قول وعمل، يقولهـا بلسـانه ويعمـل بمقتضـاها ومقتضـاها بقيـة الأركـان، أركـان الإسـلام وأركـان الإيمـان والإحسـان، وتحليـل الحلال وتحريم الحرام، وغير ذلـك ممـا هـو معلـوم بـه الإسـلام بالضـرورة، هـذا مـن حقـوق "لا إلـه إلا اللــه" فمـن اسـتوفى حقوقها و قام بمستلزماتها وبمقتضاها؛ فإنه يحـرم علـى النـار، وأنه لا يثقُل معها شيء، وهذا المثل الرائع ((لـو أن السـموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كِفـة))؛ يعنـي: فـي ميـزان لـه كفتـان إحـدهما توضـع فيهـا السـموات والأرض ومـا بينهما، والسموات والأرض وما بينهما لو كانت أجرامًا ووضــعت في كفة ووضعت "لا إله إلا الله" في كفة؛ لمـالت بهـن "لا إلـه إلا اللـه" وطاشـت هـذه الأجـرام كلهـا، ومـا ذلـك إلا لمـا لهـذه الكلمة العظيمة من معنى ومن فضل ومن قـدر عنـد اللـه؛ لأن فيها تخليص التوحيد، فيها تخليص التوحيد لله وحده دون سواه؛ فهي دالةٌ على أنواع التوحيد الثلاثة؛ دلت علـى توحيـد الألوهيـة بالمطابقة، ودلت علـى توحيـد الربوبيـة بـالالتزام، ودلـت علـى توحيد الأسماء والصـفات بالتضـمن؛ فهـي شـملت جميـع أنـواع التوحيد الثلاثة، فحُقَ لها أن تثقل في الميزان وتطيـش الـذنوب لو كانت كالسموات والأرض وعُمَّارها؛ ولكـن بشـرط أن تكـون هذه الكلمة أن يكون عالمًا بمعناها عاملاً بمقتضاها خاضـعًا لمـا دلت عليه من المعاني؛ فلابد من العلم والعمل.

وفي قصة صاحب البطاقـة الـذي أسـرف علـى نفسـه مـن الذنوب والخطايا فحُسِب فوضع له في الميزان تسـع وتسـعون

سجلاً من الذنوب كل سجل مد البصر فصارت سبب في هلاكـه إلا أن الله أنقذه بـ "لا إله إلا الله"؛ قيل له: هل لك من حسنة؟ قال: لا؛ فقيل له: بلى لك حسنة؛ فجئ ببطاقـة فيهـا "لا إلـه إلا اللـه" فوضـعت فـي كفـة والسـجلات فـي كفـة؛ فطاشـت بهـا السجلات، وثقلت "لا إله إلا الله"، وهو دليل على فضلها وأنه لا يجوز أن يقولها الناس بألسنتهم ويُقصِّروا في فهم ما دلت عليه من المعاني؛ وهو تخليص التوحيد لله في جميع أنواعه، والعمـل بمقتضياتها من إقامة مراتب الدين كلها إسلام وإيمان وإحسـان وهكذا بقية الأحكام كلها تتعلق بلا إلـه إلا اللـه مـن مسـتلزماتها ومن مقتضياتها.

ثانيًا: في الحديث هـذا بيـان فضـل الأنبيـاء وحرصـهم علـى الازدياد من العمل الصالح الـذي يرفـع اللـه بـه درجـات العبـاد؛ فموسى تطلع إلى شيء ليخصـه اللـه بـه دون غيـره؛ فأرشـده الله إلى لا إله إلا الله؛ فقال: كل عبادك يقولون هذا؛ يعني: كل ينطـق لا إلـه إلا اللـه، وهـو يريـد شـيء يكـون مـن خصائصـه؛ فضُرب له هذا المثل العظيم، وإن كان فـي سـنده ضـعف هـذا الحديث إلا أنه يتقوى بغيره، أما مجرد النطـق كمـا أسـلفتُ فلا ينفع؛ فالمنافقون كانوا يقولون "لا لإله إلا اللـه" مئات المـرات، وآلاف المرات ولكنها لم تنفعهم؛ لأنهم كاذبون في قـولهم غيـرُ صادقين؛ فما تنفعهم لا إله إلا الله.

وفـي الحـديث دليـل علـى أن فـي السـموات عُمَّـارًا وأهـل عبـادات وطاعـة للـه عـز وجـل لا يحصـيهم إلا خـالقهم؛ فيهـا الملائكـةُ الكـرام علـى وظـائف وأعمـال ومنهـم مـن أعمـالهم العبادة فقط، منهم القيام الذين لا يركعون، ومنهم الرُكَّع الـذين لا يرفعون، والسـجد الـذين لا يقومـون، ومنهـم مـن هـم حـول العـرش يسـبحون، وهـم كمـا وصـفهم اللـه ((يُسَـبِّحُونَ اللَّيْـلَ وَالنَّهَــارَ لَا يَفْتُــرُونَ)) [الأنبيــاء: 20] لا يفــترون لا يملــون ولا يخلدون إلى راحة؛ لأنهم ليسوا بحاجتها بل جبلهـم اللـه –تبـارك وتعالى- على ما فيه أُنْسهم وراحتهم وهو العبادة، جبلهـم علـى الطاعة فلا سبيل لهم إلى المعصـية؛ بعكـس الشـياطين جُبلـوا

على المعصية فلا سبيل لهم إلى الطاعـة، بخلاف عـالم الإنـس وعـالم الجـن غيـر الشـياطين فـإنهم مُكّنـوا مـن فعـل الطاعـة أعطوا القدرة على فعل الطاعة وفعل المعصية؛ ابتلاءً من اللـه لهم ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)) [الملك:2] وأمرهم بالطاعة ونهاهم عن المعصية، ووعدهم الثواب الجزيـل على فعل الطاعـة وتـرك المعصـية، وتوعـدهم بالعـذاب الأليـم على تـرك الطاعـة واقـتراف المعاصـي، وأعطـاهم القـدرة أن يفعلوا الطاعـة ويـتركوا المعصـية، أعطـاهم القـدرة وأعطـاهم الهدى؛ وهو السبيل بين طريق الهدى وطرق الضلال؛ كما قال- عـز وجـل-: ((وَهَـدَيْنَاهُ النَّجْـدَيْنِ)) [البلـد: 10] ، ((إِنَّـا هَـدَيْنَاهُ السَّـبِيلَ إِمَّـا شَـاكِرًا وَإِمَّـا كَفُـورًا)) [الإنسـان: 3]، فمـن فعـل الطاعات وتـرك المعاصـي؛ فبفضـل اللـه ورحمتـه ثـم بكسـبه، والعكس من تـرك الطاعـات واقـترف المعاصـي؛ فبعـدل اللـه وحكمته ثم بكسـبه، وبيَّـن اللـه ذلـك غايـة البيـان فـي نصـوص القرآن والسنة ولم يجبر الله -تبـارك وتعـالى- أحـدًا كمـا تقـول الطائفة الجبرية من المعطلة؛ الذين قالوا إن العبد مجبور على فعل المعصية، ومن لازم هذا القول وصف الله بالظلم؛ أي: أنه يعذب العبادَ العصاة ظلمًا، وكذبوا وعظم جهلهـم؛ لبعـدهم عـن نصوص الكتاب والسنة، وبخلاف معتقد القدرية الـذين قـالوا إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه وليس لله فيه أمـر ولا نهـي ولا قـدرة وهـؤلاء كـذبوا؛ لأن اللـه قـال اللـه ((وَاللَّـهُ خَلَقَكُـمْ وَمَـا تَعْمَلُـونَ)[الصـفات:96] ((وَخَلَـقَ كُـلَّ شَـيْءٍ فَقَـدَّرَهُ تَقْـدِيرًا)) [الفرقان :2] فابن آدم بل جميع المكلفين كل أعمالهم مخلوقة ولكن تنسب إليهم فعلاً؛ لذا قالوا: إن الأعمال تنسب إلـى اللـه خلقًا وإيجادًا وتقديرًا وتنسب إلى أهلها كسبًا؛ وهـذا هـو الحـق، وقال الله تعالى: ((لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَـبَتْ))[البقـرة: 286]، لها ما كبست من الخير وعليها مـا اكتسـبت مـن المـآثم كل يجازى من جنس عمله، وكذلك الأرواح التي تصعد إلى اللـه من عُمَّارِ السموات.

والخلاصة أن هذا الحديث دليـل عظيـم علـى عظـم فضـل كلمـة "لا إلـه إلا اللـه" الـتي هـي كلمـة التقـوى، وهـي العـروة

الوسطى، وهي كلمة الإخلاص، وأن أهلهـا حقًـا لا (..) أبـدًا وإن دخلوا النار؛ أخرجهم الله تبارك وتعالى إلـى الجنـة وكـانت هـي مآلهم ودارهم الدائمة الباقية. نعم.

المتن:

وللترمذي حسنه عن أنس –رضي الله عنه- سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: ((يا ابــن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايـا ثـم لقيتنـي لا تشـرك بـي شـيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)) .

الشرح:

فيه الحديث هذا دليلان عظيمان:

الأولُ: فضل التوحيد ومنزلته عند الله -تبارك وتعالى-.

والدليل الثاني: عِظَمُ الشرك وأنه أكبر الذنوب والآثام، فمن لاقى الله -تبارك وتعالى- وهو من أهل التوحيد؛ فإمـا أن يـدخله الجنة بدون أن تمسه النـار، وإمـا أن يسـتحق العـذاب؛ فيعـذب بقدر جنايته ومآله الجنة قطعًا لدلالة النصوص على ذلـك ومنهـا هذا النص؛ فالتوحيد له فضله العظيم الذي لا يقدرُ قدرهُ إلا الله ويعرفه العالِمُون المؤمنون.

وفيه بيان خطر الشرك قليلاً كـان أو كـثيرًا صـغيرًا أو كـبيرًا فهو خطيرٌ على أصحابه، أما الكبير فإنه لا يغفـر، وأمـا الشـرك الأصغر فإن صاحبه على خطر عظيم وهو تحت المشيئة.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفـاً وَلَـمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 120] وقال: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: 59].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جـبير؛ فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحـة؟ فقلـت: أنـا؛ ثـم قلت: أمـا إنـي لـم أكـن فـي صـلاة، ولكنـي لـدغت؛ قـال: فمـا صنعت؟ قلـت: ارتقيـت؛ قـال: فمـا حملـك علـى ذلـك؟ قلـت: حديث حـدثناه الشـعبي. قـال: ومـا حـدثكم؟ قلـت: حـدثنا عـن بريدة بن الخصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة"؛ قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قال: "عُرضت عليّ الأمم، فرأيـت النـبي ومعـه الرهـط والنـبي ومعه الرجـل والـرجلان، والنـبي وليـس معـه أحـد؛ إذ رفـع لـي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي؛ فقيل لي: هذا موسـى وقـومه، فنظرت فإذا سواد عظيم؛ فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يـدخلون الجنـة بغيـر حسـاب ولا عـذاب؛ ثـم نهـض فـدخل منْزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقـال بعضـهم: فلعلهـم الـذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشـياء؛ فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه؛ فقال: هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيـرون، وعلـى ربهـم يتوكلون؛ فقام عكاشة بن محصن؛ فقـال: ادع اللـه أن يجعلنـي منهم؛ قـال: أنـت منـه؛. ثـم قـام جـل آخـر فقـال: ادع اللـه أن يجعلني منهم؛ فقال: سبقك بها عكاشة".

الشرح:

الحمـد للـه رب العـالمين، اللَّهـم صـلِّ وسـلم علـى عبـدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه الأبـواب الثلاثـة بعضـها متصـل ببعـض؛ لأن الكلام فيهـا متعلق بموضوع واحد وهو بيان حقيقة التوحيد؛ كمـا فـي البـاب

الأول كتاب التوحيد، والباب الثاني في باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، والباب الثالث باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فالثلاثة الأبواب في موضوع واحد؛ حقيقة التوحيد وأنواعه كما في الباب الأول، وفضل التوحيد وأثره الطيب على صاحبه في الدنيا والبرزخ والآخرة، وفضل من حقق التوحيد وأن من فضائله -أي: من فضائل تحقيق التوحيد- دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فتحقيق التوحيد معناه تخليصه من شوائب الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر والخفي، وتخليصه مما ينقصه وهي البدع وكبائر الذنوب والإصرار على الصغائر؛ هذه لا تذهب التوحيد بالكلية ولكنها تنقص التوحيد، فمن حقق التوحيد؛ خلصه من شوائب الشرك، وخلصه من البدع المضلة، وتخلص من كبائر الذنوب ولم يصر على الصغائر؛ فهذا هو الذي ظفر بهذا الوعد بأنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

المتن:

قال: باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب .

وقول الله تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّـهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 120]

الشرح:

هو أكثر دخول الجنة للموحدين على اختلاف طبقاتهم؛ فمن حفظ التوحيد؛ دخل الجنة مع أول الدخلين، ولن تمسه النار؛ خلصه مما ذكر من الشرك بجميع أنواعه والبدع بجميع أنواعها وكبائر الذنوب بكل أنواعها، ومن الإصرار على الصغائر؛ فإنه يدخل الجنة مع أول الداخلين، ولن تمسه النار ولن يسمع حسيسها، وقوم من أهل التوحيد طبقات متعددة يجمعهم عمل التوحيد، ولكنهم طبقات فيما يتعلق بالعمل طبقة تكون مقصرة في أداء الفرائض والواجبات وتقع في المحرمات؛ بل في كبائر

الذنوب، ولكن لا يخرجهم ذلك من دائرة الإسلام؛ فهـؤلاء تحـت المشيئة إن شاء الله عذبهم بقدر جرائمهم ومآلهم الجنة لأنهـم من أهل التوحيد، وكل يعذب بقدر ما جنى ولا يظلم ربك أحـدًا؛ فلـو يعـذبهم يومًـا واحـدًا بمـا جنـاهُ؛ لكفـا بـه نكـالاً؛ لأن اليـوم الواحد؛ كما قال الله تعالى: ((وَإِنَّ يَوْمًـا عِنْـدَ رَبِّـكَ كَـأَلْفِ سَـنَةٍ مِمَّـا تَعُـدُّونَ))[الحـج:47] كـألف سـنة مـن هـذه السـنين الـتي نعرفها، وهو يوم واحد من أيام الآخرة، فلـو عُـذب يومًـا واحـدًا العاصي؛ لكفى بذلك نكالاً وبعـد هـذا العـذاب يخرجـه اللـه عـز وجل من النار؛ كما جاء في أحاديث الشفاعة الصـحيح؛ أن اللـه يخرج أقوامًا من النار قد امتحشوا صاروا حممًـا؛ فيلقـون علـى أفواه قصور الجنة؛ فيرش عليهم من المـاء فينبتـون نباتًـا حـتى يكتملوا وتعودُ إليهم أرواحهم ويدخلهم الله الجنة .

وطبقة أخرى يكون عذابها بما ينـالُه صـاحبها مـن الكـروب؛ من الكروب في مواقف القيامة، ومن التعب الـذي يقاسـيه ولا يدخله الله النار؛ فيكون ذلك عذابه وعرصات القيامـة وهـو مـن أهـل التوحيـد فيـدخله اللـه عـز وجـل الجنـة ولـم يـدخل النـار؛ فالمقصود أنه بحسب ما يقدمه الموحد من عمل؛ موحـد نـاجي مـن النـار ويـدخل الجنـة مـع أول الـداخلين وهـو فـي الكُمَّـلَ التوحيد، ومـا يتعلـق بالتوحيـد مـن حقـوق وواجبـات ومكملات، وقسم لا تنالهم النار ولكن مكفرات بألوان من ألـوان العـذاب، وقسم يدخلون النار بقدر ما جنوا مـن الـذنوب والمعاصـي؛ ثـم يخرجهم الله -عز وجل- فلا يبقى في نار الكفـار -ولا فـي النـار مطلقًا- لا يبقى موحد أبدًا.

وفي قول الله تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتـاً لِلَّـهِ حَنِيفـاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 120]

الشـاهد فـي قـوله: {حَنِيفـاً وَلَـمْ يَـكُ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ}، والحنيف المراد به المائل عن الشرك إلى التوحيد؛ فليـس مـن أهل الشرك إبراهيم عليه السلام؛ لأنه حطم أصنام المشركين، ولأنه أُذِيَ في سبيل ذلك بما لم يؤذى به أحد؛ حيث أوقـدوا لـه نار وحملوه في المنجنيق إلى العلو ثم قذفوه في النـار، بعـدما

صارت نارًا مخيفة حامية؛ فكان قوي التوحيد، وقوي الثقـة فـي الله -عز وجل- فطُرح في النار فما أصبه منها شيءٌ يؤذي أبدًا؛ لأن الله أوحى إليه بقوله الحق: ((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَـلاَمًا عَلَـى إِبْرَاهِيـمَ (69) وَأَرَادُوا بِـهِ كَيْـدًا فَجَعَلْنَـاهُمُ الْأَخْسَـرِينَ)) [الأنبياء:69- 70].

لذلك وصفه الله هنا بأربعـة أوصـاف "أُمَّـةً"؛ ولفـظ "أُمَّـةً" يطلق ويراد به عدة معاني؛ يطلق ويـراد بـه القـدوة؛ كـن أمـة؛ أي: قدوةً وإمامًا في الخير، ويطلق ويـراد بـه المـدة؛ كمـا فـي قوله -عز وجل-: ((وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)) [يوسف:45].

والوصف الثاني: القنوت؛ والمـراد بـه: دوام الطاعـة ((أُمَّـةً قَانِتًا))؛ أي: مطيعًا لله -عز وجل- بما تحمل كلمـة الطاعـة مـن معنى.

والثالث؛ الوصف الثالث: ((حَنِيفًا))؛ أي: مـائل عـن الشـرك إلى التوحيد.

((وَلَـمْ يَـكُ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ)) الوصـف الرابـع بـأنه مـن الموحدين، ولم يكن من المشركين، ولمَّا تنازع فيه أهل الملــل الكـافرة كـل يريـد أن ينتمـي إليـه؛ أكـذبهم اللـه جميعًـا؛ فقـال سبحانه: ((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْـرَانِيًّا وَلَكِـنْ كَـانَ حَنِيفًـا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [آل عمـران: 67] فـبرأه اللـه -تبارك وتعالى- من ملل أهل الكفر الظاهرة المعروفـة، وشـهد له وقـوله الحـق أنـه لـم يكـن مـن المشـركين؛ وإنمـا هـو مـن الموحدين؛ فالشاهد في هذه الآيـة فـي هـذا البـاب؛ فـي قـوله تعالى: ((حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))؛ أي: مستسلمًا لله وخاضعًا له تعالى. نعم

المتن:

قال وقال: ((وَالَّـذِينَ هُـمْ بِرَبِّهِـمْ لا يُشْـرِكُونَ)) [المؤمنـون: 59].

الشرح:

نعـم مـن صـفات أهـل الإيمـان: أنهـم آمنـوا بربهـم؛ آمنـوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، ولم يشـرك بـالله تبـارك وتعالى لا شركًا أكبر ولا شـركًا أصـغر؛ وإنمـا عاشـوا فـي ظـل التوحيد الذي أمر الله -تبارك وتعالى- به، ونهـى أن يكـون معـه شريك في العبادة؛ كما لم يكن له شـريك فـي الخلـق والملـك والتدبير.

المتن:

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جـبير؛ فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحـة؟ فقلـت: أنـا؛ ثـم قلت: أمـا إنـي لـم أكـن فـي صـلاة، ولكنـي لـدغت؛ قـال: فمـا صنعت؟ قلـت: ارتقيـت؛ قـال: فمـا حملـك علـى ذلـك؟ قلـت: حديث حـدثناه الشـعبي. قـال: ومـا حـدثكم؟ قلـت: حـدثنا عـن بريدة بن الخصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة"؛ قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قال: "عُرضت عليّ الأمم، فرأيـت النـبي ومعـه الرهـط والنـبي ومعه الرجـل والـرجلان، والنـبي وليـس معـه أحـد؛ إذ رفـع لـي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي؛ فقيل لي: هذا موسـى وقـومه، فنظرت فإذا سواد عظيم؛ فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يـدخلون الجنـة بغيـر حسـاب ولا عـذاب؛ ثـم نهـض فـدخل منْزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقـال بعضـهم: فلعلهـم الـذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشـياء؛ فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه؛ فقال: هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيـرون، وعلـى ربهـم يتوكلون؛ فقام عكاشة بن محصن؛ فقـال: ادع اللـه أن يجعلنـي منهم؛ قـال: أنـت منـه؛. ثـم قـام جـل آخـر فقـال: ادع اللـه أن يجعلني منهم؛ فقال: سبقك بها عكاشة".

الشرح:

ما شاء الله.

أول الحديث.

الطالب:

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جـبير؛ فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحـة؟ فقلـت: أنـا؛ ثـم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت.

الشرح:

هذه القصة الثابتة اشتملت على فوائد؛ منهـا: أن مـن سـنة السلف مذاكرة العلم، وأن بعضهم يستفيد من بعـض، وبعضـهم يسأل بعضًا؛ فأصبحوا ذلـك مـن العلمـاء؛ لأن العلـم: قـال اللـه وقال رسوله عليـه الصـلاة والسـلام، ومـذاكرتهم فـي نصـوص الكتاب والسنة.

ثانيًـا: فـي القصـة البعـد مـن الريـاء؛ لأن الـذي سـأل عـن الكوكب قال: وقال رآه، اعتذر قال: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت يريد أن يبعد عن نفسه الريـاء، والتحـدث بمـا لـم يكن عليه مـن العبـادة وذلـك لمعرفتهـم بخطـر الريـاء الصـغير والكبير.

وفيه أيضًا: أن العلم يأخذ بالرواية كما يأخذ العلـم بالدرايـة يأخذ الرواية؛ فما هو إلا نقل العدل إلى العدل؛ حتى يصـل إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلـى جبريـل -عليـه السـلام- وإلى الله -تبارك وتعالى-؛ فهذا سند العلم العدل من الأمة عـن العدل؛ أعني الصدوق عن الصـدوق سـواء ذكـرًا كـان أم أنـثى؛ حتى يرويه الصحابي عن النبي صلى اللـه علـي وسـلم، والنـبي عليه الصلاة والسلام سمعه من جبريل، وجبريل تلقـاه مـن رب العالمين؛ فصار الوحي كله حق وصدق، والناس عملوا بما رواه العدل عن العدل والثقة عن الثقة ولم يشترط غير هذا.

في شبهة يرددها من قل نصيبه من العلـم ويُـدْلي بهـا علـى طُلاب العلـم؛ وهـذه الشـبهة يقولـون: كيـف نأخـذ مثلاً عـن البخاري؟ ومـن الـذي أخبرنـا أو أدْرانـا أن هـذه الأحـاديث الـتي أودعها البخاري في الكتاب أنهـا عـن رسـول اللـه؟ وهكـذا فـي بقية الكتب والتفاسير وهي شـبهة خطيـرة؛ يريـدون أن يشـكك الناس في دينهم، ويُلْبسوا عليهم أمر دينهم؛ حتى يبقى من قـل نصيبه من العلم في حيرة، وممن سـمعتهم بـأُذْني واحـد هكـذا لُبِّس عليه؛ فأخذ يُلبس على الناس؛ قال: هـذا كتـاب التـويجري "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ" من الذي أخـبرني بأن التويجري هو الذي ألفه؟ قلنا: هذا القـول نُقـل العـدل عـن العدل، والكتاب موجود ومدون وأصوله عند في مكتبة صاحبه لا يحتاج أن تشك فيه، لا تخادع نفسك ولا تضـل النـاس؛ فإنكـارك لأنك لا تدري أكتبه التويجري أم غيره؛ هـذا يسـري علـى جميـع المؤلفات؛ مـن الـذي لحقنـاه وعرفنـا أنـه هـو الـذي ألـف هـذا الكتاب؟! كأهـل السـنن وأهـل المسـانيد وأهـل الصـحاح وأهـل تفسير القرآن، ما شك في هذا أحد مـن المسـلمين؛ لأن العلـم ينقله العدل عن العدل حتى ينتهي إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم، وما بعد رسول اللـه إلا جبريـل الأميـن الـذي زكـاه الله عن رب العالمين؛ فهي شبهة خطيرة لكنها لا تَمُـر إلا علـى من قل نصيبه من العلم؛ فالعلم وصلنا رواية ودراية العدل عـن العدل بسند متصل ومـا كـان غيـر متصـل؛ هيـأ لـه اللـه علمـاء أفاضل بينوا ما إذا كان فيه ضـعف، ومـا كـان منكـر، ومـا كـان مطلوبًا من أهل الباطل؛ كل ذلك فُرض وبُيّن فما بقي هناك أي إشكال.

وفي القصة معجزة مـن معجـزات النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم؛ حيث رُفع له في الأفق ورأى الأمم علـى الوصـف الـذي جاء في هذا الحديث؛ رأى النبي ومعه الرجل، ورأى النبي ومعه الرجلان، ورأى النبي وليس معه أحـد؛ والمعنـى: أن مـن الأمـم من كذبوا نـبيهم ولـم يؤمنـوا بمـا جـاء بـه ولـم يـؤمن بـه أحـد؛ فدعاهم إلى الله وكذبوه فحاط بهم سوء العذاب، والنبي ومعـه

الرجل آمن به الواحد؛ كما في قول الله عـن إبراهيـم: ((فَـآمَنَ لَهُ لُوطٌ)) [العنكبوت: 26]

((هنا حدث انقطاع في الشريط))

أي آمن به اثنان، والنبي وليس معه أحـد؛ أي: لـم يـؤمن بـه أحد! ثم رأى موسى وقومه وكانوا أكثر الأمم رأى سواد عظيم؛ فقيل له: هذا موسى وقومه وهم أكثر قوم بنـي إسـرائيل قـوم موسى؛ ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم أمته رُفع له سـواد عظيم؛ فقيل له: "يـا محمـد هـذه أمتـك" ومعهـم سـبعون ألفًـا يـدخلون الجنـة بغيـر حسـاب ولا عـذاب، وقـد جـاء فـي بعـض الروايات: "مع كل ألف سـبعون ألفًـا" وهـذه مـن فضـائل هـذه الأمة، مع كل ألف سبعون ألفًا يدخلون الجنـة بغيـر حسـاب ولا عذاب؛ فاشتاق الناس إلى معرفة ما هؤلاء، ما صفاتهم وما هي أعمالهم؛ فأخذوا يتحدثون ليلتهم لعلهم يظفروا بحقيقـة هـؤلاء، وحقيقة أعمالهم؛ فبعضهم قال: "لعـل هـؤلاء الـذين ولـدوا فـي الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا" وقـال بعضـهم: "لعلهـم الـذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ ثم لما أصـبح النـبي صلى اللـه عليـه وسـلم أخـبره وسـألوه؛ فقـال: (هـم الـذين لا يسترقون)؛ أي: لا يطلبون الرقية من غيرهم؛ لأن طلب الرقيـة من الغيـر قـد يكـون سـبب فـي ميلان القلـب إلـى هـذا الغيـر، وتعلق القلب به، فمن كمال التوحيد: أنه لا يطلـب، وهـل يمنـع أن يرقي نفسـه؟ أو إذا رقـاه راق بـدون طلـب هـل يمنـع مـن ذلك؟ لا، إذا رُقِيَ بدون طلب ما علق قلبه بـالراقي، وإذا رقـى نفسه ما علق قلبه بغيره؛ وإنما عمد إلى سبب مشروع أمر بـه النبي صلى الله عليه وسلم وفُعل بالنبي صلى الله عليه وسـلم فرُقِيَ، رقاه جبريل -عليه السلام- لمـا سُـحِرَ فلـم يمـل القلـب إلى الراقي.

ومن شروط الرقية: أن يعتبر -من يُرقى- أن يعتبرها سبب من الأسباب، ومن خير الأسباب التي يعالج بهـا، ولا يعلـق قلبـه بالرقية ولا بالراقي؛ يعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى وأنـه عمـل سببًا مشروعًا فلا يمنع مـن أن يكـون مـن يـدخلون الجنـة بغيـر

حساب ولا عـذاب؛ قـال: (ولا يكتـوون)؛ لمـا فـي الكـي مـن التعذيب بالنا،ر ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عـن التعـذيب بالنار؛ ولكنه أذن بالكي إذا كان ولابد؛ فلا حرج أن يكتوي ويعلق قلبه بالله -تبارك وتعالى- ويروى أنه كوى سعد مما أصـابه مـن الجراح وتُوفي سعد، قال: (وعلى ربهم يتوكلون)؛ أي: يفوضون أمورهم إلى الله -تبارك وتعالى- فـي كـل شـأن مـن شـؤونهم؛ لأن الله الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم؛ هو الذي أمرضـهم وهـو الذي يشفي؛ كما قال الله -عز وجل- إخبارًا عن إبراهيم: ((وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) [الشعراء: 80]

والتوكل على الله حاصل للمؤمن ولو رقـى نفسـه أو رقـاه غيره ولم يعلق قلبه به أو رُقي بدون طلب، وهكذا حاصل لمـن اكتوى عند الحاجة إلى الكي، واحتجم عند الحاجة إلى الحجامة، وعمـل الأسـباب المشـروعة كلهـا؛ لا يمنـع أن يكـون مـن أهـل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب، (....) هو تحبيب الإيمان فـي القلوب والعمل الصالح بالجوارح وحفظها من المحارم والمـآثم وهـؤلاء هـم الـذين يـدخلون الجنـة بـدون أن تمسـهم النـار ولا يسمعون حسيسها، وفي الحديث في الصحيحين أن أول زمــرة يدخلون الجنة على ضوء القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم علـى أكبر كوكب دريٍّ في السماء وهكذا بحسب العمل.

(ولا يتطيــرون) مــن صــفاتهم: أنهــم لا يتطيــرون؛ أي: لا يتشـاءمون بشـيء تقـع عليـه أبصـارهم أو يسـمعونه بـآذانهم فيكرهونه فيتطيرون به؛ كما كان أهـل الجاهليـة يفعلـون وذلـك أن في الجاهليـة كـان إذا كـان الرجـل خارجًـا مـن بيتـه قاصـدًا سفرًا فسمع صوتا لا يعجبه؛ تشاءم به ورجع عن حاجته، أو رأى منظرًا لا يعجبه؛ كالأعمى والأعرج والطريح على الطريق؛ رجـع إلى بيته ولم يمضـي إلـى حـاجته تطيـرًا؛ لـذا جـاء فـي تعريـف الطِيَرَة أنها ما أمضاك أوردك؛ يعني: إن رأى شيئًا لا يعجبه رجع وترك حاجته، وإن رأى شيئًا يعجبـه مضـى لحـاجته ولـم يرجـع، وهذا من فعل الجاهلية فبرء الله منه أهل الإيمان الكامل الذين حققوا التوحيد أتم التحقيق، وخَلَّصوه من جميع شوائب الشرك

مـن الشـرك الأكـبر والأصـغر والخفـي والبـدع وكبـائر الـذنوب والإصرار على صغائرها خلصـوا توحيـدهم مـن ذلـك كلـه واللـه أعلم.

الطالب:

أحسن الله إليكم

عُكّاشة يا شيخ عُكّاشة ابن محصن

يقول عُكّاشة ابن محصن

الشيخ:

هذا صحابي جليل وقصـته أنـه علـم مـن أعلام النبـوة حيـث سأل الله أن يكون من السبعين يدخل الجنـة بـدون حسـاب ولا عذاب؛ قال له: أنت منهم، انتهى إذا قال الرسول أنت منهم مـا بقـي شـك ولا جـدل، يمـوت علـى التوحيـد التـام ويبعـث مـن السبعين الألف؛ فطمع رجل آخر؛ فقال: يـا رسـول اللـه أدعـوا الله أن يجعلني منهم؛ قـال: سـبقك بهـا عكّاشـة، هـذا بيـان أن الرسول لا يقول إلا بوحي من الله، وهذا الذي لم يقل لـه أنـت منهم الثاني ما جـاء الرسـول بـه وحـي أنـه منهـم، ولا يمنـع أن يكون من عباد الله الصـالحين (....) مـن أصـحاب رسـول اللـه عليه الصـلاة والسـلام، ومـن الـذين طمعـوا فـي الخيـر وأحبـوا الخير والجزاء عليه.

الطالب:

أحسن الله إليكم يا شـيخ ذكرتـم أن كلمـة "لا إلـه إلا اللـه" دلت على توحيـد الألوهيـة بالمطابقـة وعلـى الربوبيـة بـالالتزام وعلى توحيد الأسماء والصفات بالتضمن نرجو توضيح ذلك.

الشيخ:

معنى ذلك دلالتها على توحيد الإلهية بالمطابقة؛ لأن معنى لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود حق إلا الله -عز وجل- فبمجرد النطـق

تعرف أن من قـال لا إلـه إلا اللـه؛ حقـق هـذا النـوع مـن أنـواع التوحيد الذي هو توحيد الألوهية .

وعلى توحيد الربوبية باللزوم؛ أي: أن من وحد اللــه -تبـارك وتعالى- لزمه من وحد الله ب باللزوم وإلاّ بالتّضمن

الطالب:

بالالتزام.

الشيخ:

كلها واحد بالُّزوم و بالالتزام، نعم دلت على توحيـد الربوبيـة بالالتزام؛ أي: من وحد الله لزمـه أن يقـر بـأنه الخـالق الـرازق المـدبر لجميـع الكـون، ودلـت علـى توحيـد الأسـماء والصـفات بالتضمن؛ وذلك أن من وحد الله في إلهيته وفي ربوبيته تضـمن توحيده هذا الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

الطالب:

يا شيخ هل ثبت أن الذين يعذبون بالكروب يوم القيامة؟

الشيخ:

يعني ما دخلوا النار هؤلاء مـا أدخلهـم النـار لـذنوبهم؛ ولكـن صار من عقوبتهم الكروب التي تعلـوهم يـوم القيامـة والهمـوم والخوف، شدائد من كرب يوم القيامة وهذا من تعذيب للنفس؛ لكنه ما أدخلهم النار.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: الخوف من الشرك.

وقول الله –عز وجل-: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]

وقال الخليل عليه السلام: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: 35]

وفي الحديث: "أخوف مـا أخـاف عليكـم: الشـرك الأصـغر؛ فسُئِلَ عنه؛ فقال: الرياء" رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم؛ قال: "من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النـار" رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر -رضي اللـه عنـه- أن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم؛ قال: "من لقـي اللـه وهـو لا يشـرك بـه شـيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار".

الشرح:

مناسبة هذا الباب للأبواب التي قبلـه هـي أن الأبـواب الـتي قبله في بيـان حقيقـة التوحيـد وفضـل التوحيـد، وبيـان أن مـن حقق التوحيد دخـل الجنـة بغيـر حسـاب، فكـل الأبـواب الثلاثـة تتعلق بالتوحيد بحقيقته وأنواعه وفضله وثواب من حققه، ولمــا كان ضد التوحيد؛ الشرك؛ أتى المصنف بهـذا البـاب بعـد الكلام على التوحيد؛ ليُبين خطر الشرك على الموحد وأنه يخشى على الموحد أن يدخل عليه نوع من أنواع الشرك لاسيما الأصغر.

والشرك معناه: جعلوا شريك مع اللـه -تبـارك وتعـالى- فـي العبادة.

أو هو عبادة غير الله أو عبادة غيره معـه، عبـادة غيـر اللـه؛ كعبادة الأصنام والأوثان وسائر المعبودات من معبــودات الأرض والسماء؛ لأنها غير الله -تبارك وتعالى- مخلوقة، أو عبادة غيــره معه؛ أي: من يعبد الله ويعبد غيره فهو مشـرك شـرك أكـبر ولا ينفعه أنه يعبد اللـه فـي بعـض الأحيـان، ويعبـد معـه غيـره مـن

البشر من المخلوقات؛ بل عمله حابط ولـو أشـرك بنـوع واحـد من أنواع الشرك؛ إما الدعاء أو الرجاء أو الخــوف أو الرغبــة أو الرهبة أو الذبح أو النذر أو الاسـتعانة أو الاسـتعاذة، بنـوع واحـد من أنواع التوحيد أي أنواع الشرك أشرك؛ فإن عمله فإن عمله حابط، وهو مشرك شرك أكبر، وقول الله تعالى: ((وَقَدِمْنَا إِلَـى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)) [الفرقان: 23] بسبب الشرك إذًا هذه العبادات كلها من توجه بها لله -عز وجـل- فهـو الموحد ومن توجه بها إلـى غيـر اللـه أو بعضـها فهـو المشـرك؛ شركًا أكبر مخرج من الملة؛ وهو نوعان أكـبر وأصـغر، والفـرق بينهما أن الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار إن مـات عليـه؛ أي: إن مات دون توبة؛ كمن مات وهو يستغيث بغير الله ولو صــلى وصام؛ لكن يستغيث بغير الله فيمـا لا يقـدر عليـه إلا اللـه -عـز وجل- أو يذبح لغير الله ولو شيئًا يسيرًا ولو كان يصـلي ويصـوم ويقرأ القرآن، ومما يؤسف له قُرَّاء يحفظون القرآن عـن ظهـر قلب وهم (...) عبادة الأضرحة وهذا كثير في البلدان الإسـلامية الأخرى، وحما الله هذه البلاد فلا يوجد في مسجد قبر ولا يوجـد في أرضها وثن يعبد ظاهرا أبدًا والفضل لله -عز وجل- ثـم لمـا نشر من العلم من عهد إمامين مجديدين الشيخ محمد بـن عبـد الوهاب والأمير محمد بن سعود الكبير الأول، صـار الأمـر علـى ما كان عليه من هدم الأصنام والأوثان و(....) والمعبـودات مـن دون الله واتسع نطاق الدعوة مـن ذاك اليـوم إلـى يومنـا هـذا؛ فالتوحيد هو المعلن والشرك كَبت الله -عز وجل- أهله، وأبصــر الناس وعرفوا بأسـباب ملموسـة، كأسـباب والمناهـج المقـررة في المدارس والجامعات والمساجد، يُبدأ بتصحيح الاعتقاد فيها؛ بخلاف الدول الأخرى غفلوا عن هذا، وابتلوا بوضـع القبـور فـي المساجد في معظم المساجد؛ فلحق الضرر الكـبير هـذه الأمـة وتوارثوا هذا الشرك ومع الأسف يتعصبون له، ويتعصـبون علـى من يريد أن يثنيهم عنه، ويقولون: أنتم تبغضون الصـالحين مـن أولياء الله، يظنون أن محبة الصالحين عبادتهم؛ وهذا من الجهل الفظيع؛ لهذا من توجه بعبادته لغير الله -عز وجل- مـن حـي أو

ميت أو جماد أو ملك أو غيرها من مخلوقات السموات والأرض فهو مشرك شرك أكبر.

والنوع الثاني: الشرك الأصغر وله صـور متعـددة والفـرق بينه وبين الأكبر أن الأكبر يكون صاحبه خالد مخلد فـي النـار إذا مـات عليـه، وأن الأصـغر لا يخـرج مـن الملـة إن كـان صـاحبه مسلمًا لا يخرجه من ملـة الإسـلام، ولكنـه ينقـص ثـواب عملـه ويكـون فاسـق لمـا ارتكـب مـن كـبيرة؛ بـل أكـبر مـن الكبـائر، الشرك الأصغر أعلى من كبائر الـذنوب الزِّنـا والسـرقة شـرب الخمر ونحوها، ولـه صـور؛ أقـوال وأفعـال ومـن صـوره: يسـير الرياء، قال العلماء: يسير الرياء إشارة إلى أن الرياء ليس نـوع واحدًا؛ بل الرياء نوعان أصغر وأكبر؛ فالأكبر مـن النـوعين مثـل الشرك الأكبر وهو شـرك المنـافقين؛ كمـا قـال اللـه عـز وجـل عنهم ((وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُـرَاءُونَ النَّـاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا))[النساء: 142] وهو أن يكون الباعث عن العمل غير الله -تبارك وتعالى- وعلامته أنه إذا خلى لا يذكر الله ولا يقيم شيئًا من شعائر الله، وإذا اجتمع مع النـاس صـلى كمـا يصلون وذكر كما يذكرون وجاهد كما يجاهدون لمصـلحة دنيويـة حفظ المال والحفظ على النفس والعرض وما شَاكَل ذلك مــن مصالح ذاتية؛ فهذا إن مات عليه صاحبه فمقـره مـع المنـافقين -والعيـاذ بـالله- ((يُـرَاءُونَ النَّـاسَ وَلَا يَـذْكُرُونَ اللَّـهَ إِلَّا قَلِيلًا)) [النساء: 142].

والنوع الثاني: الأصغر وهو خطير على أصحابه، وهو الذي قال فيه النبي عليه الصـلاة والسـلام: (أخـوف مـا أخـاف علـى أمتي الشرك الأصغر الرياء)، وذلك بأن يكون البـاعث للمسـلم على العمل وجه الله والدار الآخرة؛ ولكن يطرأ عليه مـا ينقـص ثواب عمله؛ كأن يكون قاصدًا المدح له والذِّكر له بخيـر؛ بحيـث إذا كان يصلي زاد في صـلاته، وإن كـان يُعلِّـم زاد فـي تعليمـه، وإن كان يعظ زاد في الموعظة، من أجل فلان أو فلان، يتحـول عن عادته وأسلوبه ونيته من أجل أن يُذْكَر فيُمدح بالعمل الــذي هو فيه؛ هذا قارئ يقرأ على النـاس والنـاس فيـه بيـن مسـتقل

ومستكثر يقوم بالعبادة لله ورجاء ثوابها مـن اللـه؛ حـتى يطـرأ عليه طارئ إما يراه الناس فيحب مدحهم والثناء منهم وذكرهم له بحسن العبـادة؛ تحـولت النيـة مـن القصـد لعمـل وجـه اللـه والدار الآخرة إلى القصد الآخـر وهـو ثنـاء النـاس ومـدحهم لـه، وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد مـن أحس بشيء من ذلك أن يقول: (اللهم إني أعوذ أن أشرك وأنا أعلم وأستغفرك لما تعلم) وهذا من الأذكار التي يدفع الله -عـز وجل- بها شر الشرك الأصغر عن المسلمين اللهم إني أعوذ أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لمـا تعلـم؛ فهـو خطيـر علـى صاحبه إن استرسل فيه جره إلـى الأكـبر وإن اسـتدرك وعـدل ورفض هذا الطارئ رحمه الله وسَلِم وهذا من الأعمال الباطنة، وهناك ألفاظ من الشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله -عز وجـل- كالحلف بالأمانة والحلف بالأب والأم، والحلف بالجاه والشـرف، والحلف بالأخوة والعزة، وما شاكل ذلك هذه كلهـا مـن الشـرك الأصغر إذا لم يقصد بـه تعظيمًـا كتعظيـم اللـه -تبـارك وتعـالى- وكفارتها: الاستغفار والتوبة الصـادقة؛ وإلا فهـي خطيـرة لقـول النبي عليه الصلاة والسلام: (من حلـف بغيـر اللـه فقـد كفـر أو فسق)؛ والمراد به: الشرك الأصغر والكفـر الأصـغر العمـل؛ إلا أن يعظم المحلوف به كتعظيمه لله وهو شرك أكـبر، إذا عظـم المحلوف به كتعظيمه لله إذا حلف بـالله فهـو شـرك أكـبر؛ وإلا فالأصل فيه أنه من أنواع الشرك الأصغر.

ومن الشرك الأصغر: إسناد النعم إلـى غيـر المنعـم؛ كـأن يقول القائل: لولا فلان محصل لي كذا وكذا، ولولا الكلـب لأتانـا اللصوص، ولولا كذا لأتى كـذا؛ هـذا الأصـل فيـه أنـه مـن أنـواع الشرك الأصغر؛ لكن إذا أسند النعمة إلى ذات الشخص وأنه هو المتصرف فـي ذلـك تحـول مـن الشـرك الأصـغر إلـى الشـرك الأكـبر؛ إذا ادعـى التصـرف وأنـه هـو الـذي تصـرف نتـج عنـه السلامة أو نتج عنـه الهلاك أو نحـو ذلـك، وفـي الحـديث: (إنمـا الأعمال بالنيات) فنـوى الأصـغر وقـع الأصـغر، وإذ أتـى بألفـاظ التي تدل على الشرك الأكبر ناويًا بذلك تعظيمًـا للمحلـوف بـه؛ فهو شرك أكبر.

المتن:

وقول الله –عز وجل-: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) [النساء: 48]

الشرح:

الآية صريحة آية محكمة صريحة في بيان أن من مات علــى الشرك الأكبر؛ فإن الله لا يغفر له أبدًا، لا نصيب له فــي رحمــة الله ومغفرته؛ وإنما مأواه النار وبئس القرار؛ كما هــي صــريحة في أن مادون الشرك الأكبر أنه تحت المشيئة الإلهية، والخلاف بين العلماء الخلاف بين أهل العلم في الشرك الأصغر هــل هــو داخل في عموم الآية فلا يغفر أم أن الآية من العـام المـراد بـه الخصوص؟ العام المراد الخصوص بـه؛ أي: خـاص الحكـم لمـن مات على الشرك الأكبر فيكون الشـرك الأصـغر صـاحبه تحـت المشيئة والموازنة بين الحسنات والسـيئات، وعلـى كـلٍ أنــه لا يكون من الخالدين في النار وإن عذبه الله بالنار فإنه بمــا معــه من التوحيد وإن ضل يكون مآله الجنة بعد أن يعـذبه اللــه بقـدر ما أشرك.

الخلاصة أن للعلماء رأيان في المشرك شـركًا أصـغر؛ هـل هو داخل تحت المشيئة كأهـل الكبـائر إن شـاء اللـه عـذبه وإن شاء غفر له أم أنه لابد أن يعاقب على شركه الأصغر في النــار ثم إن مآله إلى الجنة بحسب ما معه من التوحيد؟ وسـبب هـذا الخلاف ومنشئه هل الآية الكريمة: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْــرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) هل المراد به الشرك بنوعيه أم المراد به الشرك الأكبر؟ فمن رأى بأنه المراد بالآية الشـرك الأكبر فقط وتكون من بـاب العـام المـراد بـه الخصـوص الـذي يرى هذا؛ يعتبر الشرك الأصغر تحـت المشـيئة الإلهيـة إن شـاء الله عذب صاحبه وإن شاء غفر له، ومـن رأى بـأنه باقيـة علـى عمومها رأى أن المشرك شرك أصغر إذا مات عليه بدون توبة؛ لابد أن يعذب بقدر ما أشرك ثم مآله إلـى الجنـة بمـا معـه مـن

التوحيــد والأعمــال الصــالحة، والحقيقــة الــواجب الاحتيــاط، الاحتياط والعمل الجاد حتى لا يقع الإنسان في الشرك الأصغر؛ لأن الشـرك الأكـبر واضـح صـرف عبـادة لغيـر اللـه، والشـرك الأصغر له صور أعمـال ظـاهرة وأعمـال باطنـة ويتسـاهل فيـه النـاس؛ فيهتـم المـرء المسـلم بالوقايـة منـه، والوقايـة تحصـل بفضل الله وإعانته ثم بدراسة أنواع التوحيد دراســة تفصــيلية و بدراسة أنواع الشرك دراسة تفصيلية حتى لا يقع فـي نـوع مـن أنواع الشرك الأصغر وهو ما يعلم؛ فيكـون قـد قصـر فـي علـم أوجبه الله -تبارك وتعالى- وجعله فرض عين علـى كـل مكلـف؛ فلا يعذر المشرك فـي شـركه؛ يعـذر عـوام النـاس فـي دقـائق المسائل والأحكام لكـن لا يعـذر فـي التوحيـد والشـرك؛ ولهـذا أنظروا إلي أصحاب الفترات الذين قبل بعثـة النـبي صـلى اللـه عليه وسلم لما كانوا على الشرك؛ ما عذرهم الله -عـز وجـل-؛ بل يمتحنهم يوم القيامة فالمطيع ينجو والعاصي يهلك، وإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أبو الأنبيـاء الـذي كسـر الأصـنام وغـامر بنفسه حتى أُلقي في النار بسبب الدعوة إلى التوحيد والتحـذير من الشرك؛ كسر أصنامهم كمـا هـو معلـوم مـن قصـة الحـوار الذي جرى بينه وبين قومه، وفي مقدمتهم الملك الجبـار، وفـي مقدمة القوم أبوه، ومـع ذلـك خـاف علـى نفسـه مـن الشـرك بجميع أنواعه قال: ((وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)) [إبراهيم: 35] خاف على نفسه وطلب من الله وقد أكرمـه اللـه بـالوحي وقوة البصيرة، ومع ذلك خاف على نفسه مـن عبـادة الأصـنام، وخاف على بنيـه مـن عبـادة الأصـنام؛ لأن العـدو يزيـن للنـاس عبادة الأصنام؛ لأنها ذنب لا يُغفـر، وهـذه أمنيـة إبليـس وجنـده؛ كما قال -عز وجـل-: ((إِنَّمَـا يَـدْعُو حِزْبَـهُ لِيَكُونُـوا مِـنْ أَصْـحَابِ السَّعِيرِ)) [فاطر :6]

المتن:

وقـال الخليـل -عليـه السـلام-: ((وَاجْنُبْنِـي وَبَنِـيَّ أَنْ نَعْبُـدَ الْأَصْنَامَ)) [إبرهيم :35]

وفي الحـديث: (أخـوف مـا أخـاف عليكـم الشـرك الأصـغر فسُئل عنه؛ فقال: الرياء).

الشـرح:

نعم من صوره من صور الشرك الأصغر التي خشـي النـبي صلى الله عليه وسلم على أمته الوقوع فيها الرياء، والمراد به: الرياء الثالث الذي هو الرياء الأصغر الذي لا يخـرج صـاحبه مـن ملة الإسـلام؛ كمـا مضـى بيـانه، أمـا الريـاء الأكـبر فهـو شـرك المنافقين -والعياذ بالله- والفـرق بينهـم ظـاهر، وهـو أن الريـاء الأكبر أن يكون الباعث على العمل قصد مـرآءة النـاس ومحبـة مدحهم وثنائهم على الشـخص، وصـيانةً للنفـس وحفظـا للمـال والعرض وليس له غرض في رحمة الله أو مغفرته.